قراءة في كتاب
"دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي"
للدكتور عبد القادر هني

أ. عبد القادر بقادر

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

LE RESUME;

Le livre de «Abdelkader hani». «des études dans le critique littéraire chez les arabes dés pré islamique jusqu'à la fin de l'époque Omid». considéré comme une études visée ou la révision des certain des jugements littéraire qui au varie de critique littéraire chez les arabes dans la moment qui dure de l'époque pré islamique jusqu'au l'époque Omid donc les fondeurs ont beaucoup de jugement ardus sur les critiques cette moment qui la signalisé avec le critique inbereceut parfois et simplet ce pour ca que le livre est une nouvelle crie qu' appelle de relire les textes littéraires dans celle moment avec la révision des jugements critiques

مقدمة:

وحرصا مني في التعريف بالكتاب فسوف أقوم بدراسة فصل واحد منه فقط ألا وهو " المعايير النقدية في العصر الأموي" وهذا نظراً لأهمية القضية التي يناقشها الكاتب في هذا الفصل؛ وهي أن الناقد الأموي قد استحدث معايير نقدية جديدة متأثرة بالمناخ الحضاري العام والجديد الذي عاش فيه وتجاوب معه؛ فكان لكل بيئة في ذلك العصر ميزتها ومعاييرها النقدية التي تتناسب معها، ومع الأغراض الأدبية التي انتشرت فيها وطغت على بقية الأغراض.

ومن جهة أخرى إيمانا مني بأن الإنسان العربي في هذه الفترة لم يكن بعيدا عن التعليل ولم يكن انطباعيا إلى تلك الدرجة التي صوّره عليها بعضُ الدارسين.

منطلقا في هذه الدراسة من عدد من الإشكاليات أهمها: يقال: إن الناقد العربي القديم في الجاهلية وصدر الإسلام كانت أحكامه النقدية غير معللة وساذجة؛ بمعنى أنها أحكام انطباعية. فما مدى صدق هذه المقولة؟

هل فعلا كان النقد العربي قديما ساذجا وغير معلل؟

ألم يكن العربي قادرا على تبرير مواقفه النقدية؟

إن كتاب الدكتور عبد القادر هني هو الذي سيجيبنا عن هذه التساؤلات ويحدد ما مدى مصداقية المقولة الآنفة الذكر.

التعريف بالمؤلِّف:

عبد القدر هني من مواليد 1953م بدائرة "النقوسة" ولاية ورقلة، تلقى علومه الأولى بمسقط رأسه، وفي سنة 1969م انتقل إلى دار المعلمين المساعدين ليتخرج منها سنة 1973م معلما بالتعليم الابتدائي، وفي سنة 1976م

التحق بمعهد اللغة العربية وآدابها ليتخرج منها سنة 1980م متحصلا على شهادة الليسانس، ثم انتقل إلى جامعة دمشق بسوريا ليعود منها حاملا درجة الماجيستر في الأدب العربي القديم سنة 1984م ، وفي سنة 1989م تحصل على درجة دكتورا الدولة في النقد العربي القديم. وهو يشغل الآن منصب أستاذ التعليم العالي بمعهد اللغة العربية وآدابها في جامعة الجزائر.

من مؤلفاته: دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية إلى العصر الأموي

نظرية الإبداع في النقد العربي القديم

أربع دراسات في مصادر الأدب

مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة

نشر العديد من المقالات في الدوريات الجزائرية والعربية.[1]

التعريف بالمؤلَّف:

يعد الكتاب بحثا ودراسة متخصصة في النقد القديم، بخاصة إذا عرفنا أن الكاتب تخصص في النقد القديم. فالبحث جاء في شكل كتاب من الحجم المتوسط، طُبِع في ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر يتكون من مائتين واثنتين وستين (262) صفحةً، إلا أن الطبعة ليست من الشكل الجيد؛ فهناك نسخة تحصلت عليها بها بعض الصفحات فارغة تماما، ومما يلاحظ على البحث أن تهميشاته كانت في آخر كل فصل، وقد اعتمد الكاتب في هذا البحث على أكثر من عشرين مرجعا متخصصا في الأدب والنقد لكتّاب لهم وزنهم في الساحة الأدبية من أمثال؛ شوقي ضيف، وعبد العزيز عتيق، وطه إبراهيم، وبدوي طبانة...

إن الدافع الذي دفع بالدكتور عبد القادر هني إلى البحث في هذا الموضوع هو الحكم على النقد في تلك الفترة المدروسة (الجاهلية، وصدر الإسلام، والعصر الأموي)، بأنه نقد غير معلل، ونقد يغلب عليه الانطباعية والذاتية، وهذا ما حاول الدارس أن يثبت عكسه، فقد حاول أن يأتي بالنقود المعللة في العصر الجاهلي وكذلك في صدر الإسلام والعصر الأموي، وخلُص في الأخير إلى أن الأدب والأحكام النقدية في العصر الجاهلي يجب أن تدرس بشيء من الحذر، وعدم التقليل من عقلية الإنسان العربي البسيطة في ذلك العصر، فقد قال: " لكن الصورة التي تكونت لنا عنه تدعونا إلى الوقوف بحذر شديد إزاء الأحكام التي قللت من قيمة هذا النقد،ونفت عنه أي أثر للتعليل وللنظرة الشاملة إلى النص"[2]

والكاتب من هنا يرى أن النقد من الجاهلية إلى العصر الأموي لم يكن نقدا انطباعيا خالصا، بل كانت فيه بعض المواقف النقدية المعللة، وهو إذ ينفي هذا الحكم المُعمّم يأتي بنماذج توفرت فيها بعض الخصائص التي لم تَبْعُد عن النقد المنهجي.

تعد هذه الدراسة النقدية لهذه الفترة التاريخية ذات قيمة كبيرة، لأن البحث تناول فترة كاد يُجمِع النقاد على بساطة الأحكام النقدية فيها أمثال الدكتور عبد العزيز عتيق، والدكتور مندور وغيرهما من النقاد، وهذه الدراسة قد تكون دعوة إلى إعادة القراءة في الآثار الأدبية والأحكام النقدية التي وردت عن هذه الفترة، إلا أن هذه الدعوة ليست هي الأولى، فقد سبقه إلى ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه " دراسات في ونماذج في مذاهب الشعر ونقده".

تعرض عدد من الدارسين لهذه الفترة التاريخية في جانبها الأدبي والنقدي بالدراسة والبحث من أمثال عبد العزيز عتيق في كتابه " تاريخ النقد الأدبي عند العرب "، وبدوي طبانة في كتابه " دراسات في نقد الأدب العربي "، وطه إبراهيم في كتابه " تاريخ النقد الأدبي عند العرب ".

مضمون الكتاب:

يشتمل الكتاب على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وقائمة لمكتبة الدراسة، وفهرس لموادها.

وفيما يلي عرض موجز لأهم مواد الكتاب:

المقدمة

التمهيد

الفصل الأول: النقد في العصر الجاهلي.

1) نشأة النقد الأدبي في العصر الجاهلي.
2) النقد الأدبي في العصر الجاهلي الأخير.
   أ- بيئات النقد الأدبي في العصر الجاهلي.
   ب- النقد الجاهلي في نظر الدارسين المحدثين.
   ت- النقد غير المعلل في العصر الجاهلي.
   ث- النقد المعلل في العصر الجاهلي.

الفصل الثاني: النقد الأدبي في صدر الإسلام.

1) حالة الشعر في صدر الإسلام.
2) أثر النقد في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام.
3) المعايير النقدية في صدر الإسلام.
   أ- المعيار الديني والخلقي.
   ب- والمعيار الفني.
4) أنواع النقد الأدبي في صدر الإسلام.
   أ- النقد غير معلل.
   ب- النقد معلل.

الفصل الثالث: النقد الأدبي في العصر الأموي.

1) عوامل تطور النقد في هذا العصر.
   أ- أحداث العصر.
   ب- نشاط الحركة الشعرية.
   ت- المجالس والأسواق.
2) أصناف النقاد في العصر الأموي.
   أ- النقاد الشعراء.

ب- النقاد العلماء(علماء اللغة والنحو).

ت- الرواة والأدباء.

3) أنواع النقد في العصر الأموي.

أ- النقد غير المعلل.

ب- النقد المعلل.

4) الذاتية والموضوعية في النقد الأموي.

5) المعايير النقدية في العصر الأموي.(وهو الذي وقفنا عنده في هذا التقديم).

أ- المعيار الديني والخلقي.

ب- المعايير الفنية.

- جودة المعنى.
- الصدق.
- جمالية الشكل.

6) قضايا نقدية أخرى.

ففي المقدمة تناول فيها الباحث الدوافع التي دفعته لدراسة النقد في هذه الفترة الزمنية الخطيرة فقد حاول أن ينطلق من الجدلية القائمة بين النقد والأدب في تلك الفترة؛ فدرجة النضج التي بلغتها القصيدة الجاهلية، وما قيل من نقد عن تلك الحقبة جعل الباحث يشعر بأن هناك تناقض بينهما مما حفزه على البحث والعودة إلى المصادر لعله يرجع منها بطائل، أما عن صدر الإسلام وبني أمية فقد كان الدافع هو ذلك الربط التعسفي الذي يربطه النقاد بين هذين العصرين والعصر الجاهلي في الأحكام النقدية.

أما في التمهيد فقد تناول الحياة العقلية للعرب قبل الإسلام، فقد توصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن الحركة النقدية قبل الإسلام عند العرب لم تكن متأثرة بأصول فلسفية أو غيرها كتلك التي تتعلق بجماليات العمل الأدبي، أو طبيعته ووظيفته وماهيته.

وفي الفصل الأول فقد ركّز الدارس على الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي؛ أي قبل مائتي عام تقريبا قبل الإسلام وخَلُص فيه إلى أن في هذه الفترة صنفين من النقد؛ نقد قائم على الانفعال الوقتي بالأثر الفني فهذا النقد لا يقدم فيه الناقد تعليلا، ولا يهتم فيه بالبحث عما يبرر موقفه وحكمه وهو النقد الذي يعرف بالنقد غير المعلل، ونقد الآخر فهو الذي كان فيه النّقاد يقدمون دليلا على صحة أحكامهم، إلا أن هذا الصنف لم يكن يتناول القصيدة كلها فكثيرا ما جاء الحكم مبنيا على مجموعة من الأبيات لا القصيدة كلها. وفي الأخير يدعو الباحث إلى الوقوف بحذر شديد إزاء الأحكام التي قللت من قيمة النقد ونفت عنه أثر التعليل.

أما الفصل الثاني فقد بين فيه أن الحركة الشعرية في صدر الإسلام لم تفتر ولم تركد، وكان النقد عاملا موجِها ومرشدا ومسددا لخطى الشعراء، حتى يتجاوبوا ومبادئ الدين الجديد ودعوته الجديدة، وذلك ليكون عملهم الأدبي الإبداعي مساهما في بناء المجتمع الإسلامي، ولذلك وُجدت لهم معايير نقدية موروثة عن العصر الجاهلي، وأخرى جديدة اقتضتها الحياة الجديدة؛ فالنقد في هذه المرحلة يعبر عن الجمالية الأدبية التي كانت سائدة في العصر

الجاهلي، وعن المعايير الجديدة التي استحدثت في صدر الإسلام والتي استمدت روحها من الدين الإسلامي، وعلى كل فالنقد في هذه المرحلة لم يكن يتناول القصيدة بأكملها ولم يكن عميقا في تفحص الأثر الأدبي إلا أنه كان معللا في كثير من الأحيان.

وبعد استعراضنا لأهم المكونات الأساسية لهياكل الكتاب أحاول الآن أن أتناول فصلا من فصوله وهو "المعايير النقدية في العصر الأُموي".

لا يمكن أن يكون هناك نقد لا يستند إلى مقاييس ومعايير معينة في الأحكام التي يصدرها على النصوص الأدبية التي يدرسها، والناقد الأموي كغيره من النقاد الذين سبقوه قد انطلق من ملاحظات كان يسجلها، وأحكام كان يصدرها على نصوص شعرية من معايير نقدية خاصة به نبعت مع المحيط والمناخ الحضاري الذي عرفه الناقد الأموي.

فقد انعكست التعديلات الجديدة في سياسة الدولة على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية، وأضف على ذلك الانفتاح على الثقافات الأجنبية التي دخلت أممُها في الدين الإسلامي، فقد كانت البيئة في هذا العصر مزيج من الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى التي اتصلت بها وتفاعلت معها، وفقد غلب على الشعر الغزل الحضري ــ في الحجاز بشكل خاص ــ وهو شعر فيه دعابة ووصف للنساء صريح، وفيه قصص تحكي تجارب الشاعر مع النساء، وفيه جرأة على التقاليد القديمة.[3] كل هذا وغيره كان له الأثر الكبير في حياة أفراد المجتمع والناقد أحد أفراد هذا المجتمع.

ومما ظهر جليا في هذه الدولة الجديدة ــ التي اتبعت النظام الوراثي خلافا للشورى في الحكم ــ الاهتمام بالجانب الدنيوي أكثر من الجانب الديني، فالمسلمون الأوائل عملوا على ترشيد الحركة الشعرية وتوجيهها الوجهة السليمة الصحيحة، ومن الطبيعي أن تتغير موازين تقويم الشعر الموجه لخدمة سياسة بني أمية.

فإذا كان الجانب الجمالي في النقد لم يتغير كثيرا وذلك لعدة أسباب منها:

- اهتمام الأمويين بأخبار الجاهليين كثيرا وتراثهم الأدبي...
- حرص الحكام على تنشئة أبنائهم تنشئة عربية على غرار العرب القدامى وأذوقهم.
- توافد الشعراء العرب على قصور الملوك والأمراء.
- حضور علماء اللغة والنحو في مجالس الحكم.

وكان الخلفاء الأمويون يهتمون بالشعر كثيرا فقد ورد في أمالي القالي[4] تـ(356هـ): قال جرير: "دخلت على بعض خلفاء بني أمية فقال: ألا تحدثني عن الشعراء؟ فقلت: بلى، قال: فمن أشعر الناس؟

قلت: ابن العشرين (يعني طرفة)

قال: فما تقول في ابن أبي سلمى والنابغة؟

قلت: كانا ينيران لشعر ويسديانه.

قال: فما تقول في امرئ القيس بن حجر؟

قلت: اتخذ الخبيثُ الشعر نعلين يطؤهما كيف شاء.

قال: فما تقول في ذي الرمة؟

قلت: قدر من الشعر على ما لم يقدر عليه أحد.

قال: فما تقول في الأخطل؟

قلت: ما باح بما في صدره من الشعر حتى مات.

قال: فما تقول في الفرزدق؟

قلت: بيده نبعة من الشعر قابضا عليها.

قال: فما أبقيت لنفسك شيئا!

قلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها ويعود إليها، ولأنا سبَّحت الشعر تسبيحا ما سبّحه أحد قبلي.

قال: وما التسبيح؟

قلت: نسبت فأطرفت، وهجوت فأذريت، ومدحت فأسنيت، ورملت فأغزرت، وزجرت فأبحرت، فأنا قلت ضـــروبا من الشعر لم يقلها أحد قبلي."[5]

هكذا فقد كان الخلفاء يقربون منهم الشعراء ويجزلون لهم العطايا مما جعل الشعر يحتفظ بجانبه الجمالي كما نلاحظ في هذا القول الموقف النقدي الذي كان غير معلل من قبل جرير فهي مجرد أحكام لا تستند إلـــى تعليـــل أو تبرير، فقد رأينا جريرا يصدر أحكاما ولا يبررها كما رأناه يفضل نفسه على بقية الشعراء المذكورين من الجاهليـــة حتى ذلك العهد.

كل هذا وغيره جعل الروح البدوية الجاهلية تظل جذوتها متقدة في نفوس العرب وغالبة على أشعارهم .

كما أن الحركة النقدية قد عرفت نشاطا واضحا فقد كان للنقاد(علماء اللغة والنحو) تواجـــد داخـــل قصـــور الخلفاء والولاة؛ فكان من الطبيعي أن ينتصر الخلفاء والولاة إلى الشعر الجاهلي ويجعلوا منه معيارا لتقييم ما ينشـــد في تلك المجالس الأدبية والنقدية.

ومن هنا كان التشابه في المعايير الفنية كبيرا بين العصرين الإسلامي والأموي، لأن التغييـــر الـــذي مـــس المعايير في العصر الإسلامي اهتم بترشيد مضمون الشعر، والإسلام لم ينكر جماليات الشعر. وفي ما يأتي المعايير الفنية للنقد في هذا العصر:

1. **المعيار الديني والأخلاقي:**

كان لهذا المعيار في صدر الإسلام اهتمام كبير من النقاد الذين كانوا قادة للدعوة الإسلامية، حيث كان الشعر مساهما في تشييد المجتمع المسلم، وفي هذه الحقبة كانت السياسة الأموية منصبة على خدمة الأسرة الحاكمة؛ ولهذا لم يكن لهذا المعيار وزن إلا بالقدر الذي يخدم تلك الأسرة؛ فوجود شاعر نصراني كالأخطل مثلا الذي حظي بمكانة مرموقة لدى الخلفاء لأنه سخّر شعره لخدمة البيت الأموي، ومن هنا يمكننا أن نقول بأن المعيار الديني والأخلاقـــي تراجع تراجعا كبيرا وحل محله المعيار السياسي، وأصبح الفسوق عن أوامر الإسلام مقياسا جديدا من مقاييس النقد في هذا العصر[6]؛ اللهم إذا استثنينا فترة عمر بن عبد العزيز الذي كان له الأثر الإيجابي في تغيير وجهة الشعر وقد تجاوب عدد من الشعراء مع ذلك الاتجاه الذي أراد ترسيخه بخاصة إذا ما كان الشعر موجها إليه.

فيروى أن عمر بن العزيز رد عن بابه عدد من الشعراء من بينهم جميل بن معمر، وكثير عزة، وهمام بن غالب، والأخطل التغليبي الذي كان شاعر بني أمية وغيرهم من الشعراء الذين شاع في شعرهم التشبيب بالنساء والاستهزاء بالأخلاق الإسلامية النبيلة.

وفي الأخير يمكننا القول بأن السياسة الأموية قد أسهمت كثيرا في تقهقر المعيار الديني والأخلاقي، وغلّبت عليه المعيار الدنيوي السياسي الصِرف، فما كان يطلبه الخلفاء الأميون من مبالغة في المدح والثناء عليهم من أجل تحسين سيرتهم في أعين الناس يعدّ مخالفة لأخلاقيات الإسلام الذي يحرم الكذب والإطراء[7].

2. **المعايير الفنية:**

على الرغم من غياب المعيار الديني والأخلاقي كما سبق لنا القول فإن الجانب الفني لم يكن غائبا في نقد الفنون الأدبية؛ سواء أكان ذلك في المجالس التي كانت داخل القصور، أو خارجها فقد بدأ النقد يتجه نحو التعليل (كدقة المعنى، ولطف المدخل، وسهولة المخرج، ومتانة الحشو، وتعطف الحواشي، وإنارة المعاني، والإعراب عن الحاجة)[8] ومن تلك المعايير الفنية.

ـ جودة المعنى:

وجودة المعنى هي التي تحمل المتلقي على قبول خطاب المبدع، لأن الصورة اللفظية التي يتلفظ بها المبدع تكتسب هذه الصفة من خلال النُبَى التي تتصل بها ومن مناسبته لمقام النص وللظروف الحافة به.

"إن عبد الملك بن مروان طلب من كثير عزة (40 ـ 105هـ/660 ـ 723م) أن ينشده بعض ما قال في عزة فأنشده حتى وصل إلى قوله:

همَمْتُ وهمَّت وهِبتُها حياءً ومثلي بالحياء خليقُ

فقال له عبد الملك: أما والله لولا بيتٌ أنشدتنيه لحرمتك جائزتك، قال: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنك أشركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها"[9]

وقد كانت مجالس عبد الملك مجالس شعر فكان يتدخل أحيانا فيعدّل في شعر الشعراء؛ فذات مرة دخل عليه الأقيشر(ت 80هـ/699م) "وعنده قوم فتذاكروا الشعر وذكروا قول نصيب بن رباح (ت 108هـ/ 726م):

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدي

فقال الأقيشر: والله لقد أساء قائل هذا الشعر، قال عبد الملك: فكيف تقول لو كنت قائله: قال: كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك: والله لأنت أسوأ منه قولا حين توكل بها، فقال الأقيشر: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين: قال: كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لدى خلة بعدي

فقال القوم جميعا: أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم"[10]

وغضب من ذي الرمة غضبا شديدا في قوله:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب؟

فإن عبد الملك قد عاب على ذي الرمة سِقم الذوق ومجافاة كلامه لمقتضى الحال، وعدم البراعة في الاستهلال، ونحّاه حتى عاد فقال:

ما بال عيني منها الماء ينسكب كأنه من كُلىً مفرية سرب؟[11]

فقد أحس عبد الملك أن كاف الخطاب في كلمة(عينك) موجهة إليه.

ولم يكن النقد في هذه الفترة يرتكز على الكلمة الواحدة في البيت وإنما راعوا علاقته بما يجاوره من معان فقد عاب نصيب على الكميت (60 ــ 128هـ/680 ــ744م) قوله: "

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشّنب

فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصي خطأك، تُباعد في قولك: "تكمل فيها الدل والشنب" هلا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حُوَّة لعس وفي اللثاث وفي أنيابها شنب

ثم أنشده في أخرى:

كأن الغطامط من جريها أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال له نصيب: ما هَجَتْ أسلمُ غفارا قط، فاستحي الكميت وسكت.

قال أبو العباس: والذي عابه نصيب من قوله: "تكامل فيها الدَّلُّ والشنب" قبيح جدا، وذلك أن الكلام لم يجرِ على نظم ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشكلة"[12].

وهذا ما أطلق عليه رجال البديع فيما بعد "مراعاة النظير".

وأخذ ابن أبي عتيق على الشعراء المبالغة التي تبعد الشعر عن الصدق وتدنيه من الكذب، أنشده نصيب قوله:

وكدت ــ ولم أخلق من الطير ــ إن بدا لها بارق نحو الحجاز أطير!

فقال له ابن أبي عتيق في أسلوب تهكمي ساخرا: يا ابن أم، هل "غاق" فإنك تطير! يعني أنك غراب أسود[13].

الملاحظ من خلال السابق أن الناقد في العصر الأموي اتخذ من جودة المعنى معيارا له في نقد الشعر والحكم عليه، وما انتقاد عبد الملك بن مروان وابن أبي عتيق للشعراء ومحاسبتهم على جودة المعنى، واختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب إلا دليل على ذلك، كما يقول بشر بن المعتمر " من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"[14]، فالمقصود هو مناسبة الألفاظ للمعاني.

ــ الصدق:

وقد كان ابن أبي عتيق أكثر نقاد هذا العصر وعيا بأهمية صدق تجربة الشاعر في عمق الأثر الذي يتركه الشعر في النفس[15] ومن أقواله في شعر عمر بن أبي ربيعة: " لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعُلوق بالنفس، ودَرْك للحاجة"[16] فهكذا كان ابن أبي عتيق ينظر إلى دور صدق العاطفة في جمال الشعر، وقد ألحوا على الصدق في شعر الغزل بشكل خاص لأنه هو الذي يعد أكثر الفنون التصاقا بالعاطفة والوجدان.

أنشد كثير عزة ابن أبي عتيق قصيدة يقول فيها:

ولست براض من خليل بنائل قليل ولا أرضى له بقليل

فقال له: هذا كلام مكافئ ليس بعاشق، القرشيان أقنع وأصدق منك: ابن أبي ربيعة حيث يقول:

ليت حظي كلحظة العين منها وكثير منها القليل المهنّا

...وابن قيس الرقيات حيث يقول:

رقيٌّ بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عِدينا في غد ما شئت إنا نحب ــ وإن مطلت ــ الواعدينا
فإما تنجزي عِدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حينا[17]

ويدخل هذا في المفاضلات بين الشعراء أيضا حيث جعلوا من الصدق معيارا لتلك المفاضلات، ويعد هذا المعيار من المعايير الفنية التي كان يقيس بها الناقد الأموي الشعر؛ وهي التي تنبع من أعماق الشاعر من خلال تجربته في الحياة ولهذا رأيناها ألصق ما تكون بشعر الغزل وذلك لأنه أكثر الفنون الشعرية التصاقا بالعاطفة والوجدان.

ــ جمالية الشكل:

إن الناقد الأموي قد وعى أن جمالية الشكل مقوم أساسي من مقومات فن الشعر، وهذا قول ابن أبي عتيق: "أشعر قريش من دَقَّ معناه، ولَطُف مدخله، وسَهُل مخرجه، ومتُن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته"[18]

من هنا يتبين لنا اهتمامهم بالجانب الجمالي في الشكل من الأسلوب واختيار الألفاظ، ومن الشواهد التي جاء بها عبد القادر هني في هذا المجال؛ منها تفضيل الحجاج جريرا على الفرزدق في هذه الصورة لقوة دلالتها على شخصه، قال الفرزدق:

من يأمن الحجاج والطير تتقي عقوبته إلا ضعيف العزائم

وقال جرير:

من يأمن الحجاج أما عقابه فمُرٌّ وأما عهده فوثيق

فقول الفرزدق "والطير تتقي عقوبته" كلام لا قوة فية لأن الطير تتقي كل شيء، أما قول جرير ففيه قوة لشخص الحجاج.

كما عيب على ذي الرمة عدم توفيقه في اختيار اللفظ المناسب في وصف كلاب صيد جائعة تطارد ثورا. فقال:

حتى إذا دوّمَت في الأرض راجَعَه كِبرٌ ولو شاء نجّى نفسَه الهربُ

وقد عقَّبوا عليه بقولهم : "التدويم" يكون في الجو دون الأرض[19].

ووعي الناقد الأموي بهذا الجانب لم يكن وليد العصر فقط وإنما لاحظنا ذلك في جميع مراحل النقد منذ العصر الجاهلي إلى العصر الأموي.

الخاتمة

لم يتطرق عبد القادر هني في المعايير النقدية في العصر الجاهلي إلى الجانب غير المعلل في العملية الأدبية إلا قليلا، كان النقد في بداية العصر الأموي مسايرا لعصر صدر الإسلام والجاهلية فكان الحكم على الشاعر من خلال بيت أو بيتين؛ كالحكم لجميل بن معمر بأنه أشعر أهل الإسلام، أو أشعر أهل الإسلام والجاهلية. وكالحكم للشاعر نصيب بأنه أنسب الناس.

لم يقسّم الكاتب العصر الأموي إلى بيئات كما فعل غيره من النقاد؛ فالنقد في هذا العصر يتميز باختلاف البيئات فقد كان لكل بيئة نقّادها وطريقتهم في النقد ومعاييرهم النقدية؛ فالحجازيون طغى عليهم شعر الغزل والمجون، وذلك راجع للسياسة الأموية التي أغرقت أهل الحجاز بالأموال والترف حتى ينشغلوا عن أمر الخلافة، أما العراق فقد كانت فيه الصراعات الحزبية فكثر عندهم شعر النقائض والهجاء، وأما الشام فكثر بها شعر المدح لأنها كانت عاصمة الخلافة الأموية، وباختلاف هذه البيئات اختلف الشعر فاختلفت معه المعايير النقدية كذلك.

وعلى كل فقد كان الدكتور عبد القادر هني موفقا إلى أبعد الحدود في طرحه، كما حاول أن يأتي بالدليل لكل ما قاله عن النقد ومواقفه في تلك العصور التي كانت مجالا للدراسة.

كما تعد دراسته هاته دعوة جريئة لإعادة دراسة تلك الآثار النقدية من جديد بكل تأنٍ وصبر، وعدم إصدار أحكام إرتجالية موروثة عن النقاد الأوائل.

كما تُبين الدراسة قدرة الباحث الجزائري على خوض غمار النقد القديم بكل جرأة لما يمتلكه من زاد معرفي وقدرة على الدراسة والبحث والاستباط والاستقراء.

الهوامش والإحالات:

[1] ــ ينظر: عبد القادر هني، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د ت.

[2] ــ عبد القار هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995م، ص: 37.

[3] ــ ينظر عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د ط، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، د ت، الفصل الخامس.

[4] ــ هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ولد 288هـ ، كان إماما في اللغة وعلوم الأدب دعاه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الأندلس؛ فحظي بمكانة مرموقة، وفي قرطبة أملى تصانيفه وكتبه القيمة.

[5] ــ أبو علي القالي البغدادي، كتاب الأمالي، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1400هـ ــ 1980م،179/2 ــ 180.

[6] ــ عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 123.

[7] ــ ينظر: عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب...الفصل الثالث، وعبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الفصل السادس.

[8] ــ عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد...، الفصل الخامس.

[9] ــ عبد القادر هني،دراسات في النقد الأدبي...ص:230، نقلا عن ابن عبد ربه، العقد الفريد، 373/5.

[10] ــ سلطان منير، ابن سلام وطبقات الشعراء، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1977م، ص: 43.

[11] ــ ينظر: عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي...، وعبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الفصل السادس.

[12] ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: يحيى مراد، ط: 1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1425هـ ـــ 2004م، ص: 408.

[13] ــ الأصفهاني، الأغاني، تح: سمير جابر، ط: 02، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ت،350/1.

[14] ــ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي عطوي، ط:01، دار صعب، بيروت، لبنان، 1968م، 86/1.

[15] ــ عبد القادر هني، دراسات في النقد...، ص: 236.

[16] ــ عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 122.

[17] ــ عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي...، ص: 237، وعبد العزيز عتيق، تاريخ النقد...، ص: 130.

[18] ــ نفسه، ص: 241.

[19] ــ عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي...، الفصل الثالث.

مصادر ومراجع الدراسة:

1) الأصفهاني، الأغاني، تح: سمير جابر، ط: 02، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ت.
2) الجاحظ، البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي عطوي، ط:01، دار صعب، بيروت، لبنان، 1968م.
3) عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د ط، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، د ت.
4) عبد القار هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر:1995م.

مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د ت.

5) أبو علي القالي البغدادي، الأمالي، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1400هـ ـ 1980م.
6) سلطان منير، ابن سلام وطبقات الشعراء، د ط، منشأة المعارف الإسكندرية، 1977م.
7) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: يحيى مراد، ط:1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1425هـ ـ 2004م.